– في هذه المرحلة شكلنا نواة حركة «القوميين العرب». شكلت من ثمانية اشخاص أذكر منهم: وديع حداد وهاني الهندي وأحمد الخطيب وأنا، أما الاسماء الأربعة الاخرى فاعتقد انهم يفضلون عدم ذكر اسمائهم في هذه المرحلة. شكلنا هذه النواة وقررنا تالياً تاسيس التنظيم. حينها تساءلنا في البداية: ما هي شعارات هذا التنظيم، وكان الجواب: «وحدة، تحرر، ثأر». وكان شعار الثأر يشير بشكل اساسي الى عملية تحرير فلسطين. وبعدما بلورنا شعاراتنا التي كانت تعكس مضمون برنامجنا السياسي، برزت حركة جدل في اوساط الاطار المحيط بحركة القوميين العرب، تكثفت بالسؤال الآتي: لماذا لا نلتحق بحزب البعث؟ وفي ضوء ذلك التحق فريق من المحيط المتعاطف مع الحركة بحزب البعث، فيما بقي فريق آخر ملتحماً مع الحركة. وهنا أود لفت النظر الى مسألة في غاية الاهمية، وكانت تشكل لنا في حركة القوميين العرب ركيزة اساسية في رؤيتنا البرنامجية، وهي اننا كنا نرى في التلازم الجدلي بين تحرير فلسطين والوحدة العربية بعداً مهماً وضرورياً لا غنى عنه، لأننا كنا نرى في المشروع الصهيوني المندفع، مشروعاً استعمارياً توسعياً، يستهدف عموم المنطقة العربية والأمة العربية، وليس فلسطين فقط، وبالتالي ان مواجهة هذا المشروع يجب ان تتم من خلال مشروع قومي عربي يتجسد من خلال الوحدة العربية. ويكون في رأس جدول أعماله تحرير فلسطين باعتبارها جوهر الصراع وقضية العرب المركزية. ومن هنا كنا نشدد على قومية الصراع وقومية المعركة وقومية تحرير فلسطين. لكن البعث كان بعيداً نسبياً عن هذا الفهم الواضح. وأجزم بالقول ان تأكيدنا عملية الربط بين الوحدة العربية وتحرير فلسطين شكلت الأساس الذي خلف امتدادات جماهيرية كبيرة وواسعة من حولنا، أوصلتنا بعد خمس او ست سنوات الى ان نكون احدى قوى حركات التحرر الرئيسية في المنطقة العربية.

‹ عندما توضحت اتجاهاتكم القومية، بأي المفكرين كنتم متأثرين؟

– من أبرز المفكرين القوميين الذين تأثرنا بهم قسطنطين زريق، وساطع الحصري.

‹ هل تأثرتم بفكر ميشيل عفلق؟

– كنت أحب ميشيل عفلق وأقرأ كتاباته، لكنني كنت أتساءل: لماذا يغيب عن فكر ميشيل عفلق، وهو الكاتب والمفكر اللامع، قضية الكفاح المسلح لاسترداد فلسطين؟ اضافة الى اني لم أكن مقتنعاً في تلك الفترة بضرورة طرح شعار الاشتراكية، هذا الشعار الذي تبنته الحركة لاحقاً، اذ أصبح شعار حركة القوميين العرب «وحدة، تحرر، اشتراكية، استرداد فلسطين». أنا اعتبر ان تطور شعارات الحركة بهذا الاتجاه كان يعبر عن المسار الطبيعي لآلية هذا التطور.

‹ الا تعتقد بأن إدخال شعار الاشتراكية أتى لتقوية عمليات المنافسة والصرّاع مع حزب البعث والشيوعيين؟

– لا لم يكن الهدف من تبني الاشتراكية منافسة الشيوعيين او البعثيين وإنما كان نتاجاً طبيعياً لتطور فكرنا. كذلك لعبت الاجراءات الاقتصادية التي اتخذها عبدالناصر في مصر على صعيد عمليات التأميم وإعادة توزيع الملكية الزراعية عاملاً اساسياً في تبنينا شعار الاشتراكية الذي تبنته «ثورة يوليو» لاحقاً.

‹ عندما نضجت حال وعيكم السياسي والفكري في بداية الخمسينات هل فكرتم في الانتقال من اطار العمل في اوساط الجامعة الى الاطار الجماهيري الأوسع؟

– نعم فكرنا في ذلك جيداً، وهنا برز سؤال مهم: هل نستطيع ان نأخذ على عاتقنا موضوع تشكيل حزب سياسي؟ كان جوابنا: اذا شعرنا بأن الشعارات التي نطرحها، خصوصاً في ما يتعلق بالكفاح والتمايز ستكون موضع تطبيق ونكون قادرين على تجسيدها وتمثيلها، حينها يكون جوابنا: نعم نحن قادرون على تشكيل حزب سياسي متميز. من هنا كانت مرحلة الأردن أول ساحة اختبار لقوتنا وسلامة شعاراتنا، وبالتالي مقدرتنا على بناء حزب وتنظيم جماهيري واسع.

العيادة - «القيادة»

‹ عمان الخمسينات كانت المحطة الأهم في تاريخك وتاريخ حركة القوميين العرب، كانت العيادة وكان وديع حداد وكان الاختفاء، والأهم كانت تجربة بناء حركة القوميين العرب، كيف تنظر الى هذه التجربة اليوم وأهم المحطات فيها؟

– بعد انتقالي الى عمان بستة أشهر عاد الرفيق وديع حداد الى عمان، وكنت تخرجت قبله بسنة. حينها قرر والدي ان يفتح لي عيادة في عمان، وكان والدي انساناً

ميسور الحال يحبني كثيراً وأطلق لاحقاً على العيادة اسم «القيادة» لأنها كانت بمثابة غرفة عمليات لقيادة العمل الشعبي والجماهيري في الأردن. وهذه العيادة كانت تقع في شارع الملك طلال وقد بدأت العمل أنا والدكتور وديع حداد في العيادة بأجور رمزية جداً كنا نوظفها لسد بعض مصروفات الحركة. وفي تلك المرحلة كان الدكتور أحمد الخطيب عاد الى الكويت. وكان يتقاضى راتباً مقداره مئة دينار كويتي يحول منها تسعين ديناراً شهرياً كمصروفات للحركة. بدأت أنا والرفيق وديع بالدخول الى عمق العمل الجماهيري، خصوصاً وديع الذي كان دائم الحركة والفاعلية في الأوساط الشعبية، خصوصاً داخل المخيمات، حيث افتتحنا دورات محو أمية، وكذلك مستوصفاً لعلاج الجماهير. والجميع يعرف حالة الفقر التي كانت تئن تحته جماهيرنا في الأردن في ذلك الزمن. وكان لنا خط بناء آخر موازٍ للخط الجماهيري، يتمثل في بناء صلات مع الكثير من الشخصيات الوطنية في الأردن، وبالذات فئة البرجوازية الوطنية التي كان لنا بها صلات منذ أيام الجامعة الأميركية. وكان هذا بطبيعة الحال يعبر عن انفتاحنا على جميع فئات الشعب الوطنية. وعند اعادة قراءة تجربتنا في الأردن أستطيع القول بأمانة باننا تمكنا خلال ثلاث سنوات من العمل الدؤوب والجاد، ان نوازي في قوتنا أحزاباً عريقة كحزب البعث، والحزب الشيوعي، وأصبحت حركة القوميين العرب احدى القوى الرئيسية العاملة في الأردن. خلال هذه الفترة أصدرنا صحيفة اسبوعية باسم جريدة «الرأي» التي رأس تحريرها الدكتور أحمد الطوالبه. ولعبت هذه الصحيفة دوراً مهماً جداً في التحريض على ضرورة تعريب الجيش الأردني، وطرد غلوب باشا الانكليزي رئيس هيئة أركان الجيش الأردني آنذاك. وأدى هذا بدوره الى قيام الحكومة بوقف الصحيفة.

في تلك الفترة كانت سورية تشهد حالاً من الانفراج والليبيرالية، فأصدرنا الصحيفة من سورية، وكنا نوزعها في الأردن الى ان جرت تحولات محدودة في عمان في العام ١٩٥٦ في عهد حكومة سليمان النابلسي تجسدت بانفراجات سياسية على الصعيد الوطني العام. حينها عدت الى الأردن بشكل طبيعي. وفي تلك الفترة جرت انتخابات نيابية عامة وخضنا الانتخابات بكتلة من أربعة مرشحين، ولم يحالفني الحظ في النجاح إلا اننا في حركة القوميين العرب اعتبرنا ان الأصوات التي حصلنا عليها جيدة (مع الأخذ في الاعتبار انني كنت حينها شاباً صغيراً وفي بداية تجربتي النضالية والسياسية) وانجاز معقول لحركة سياسية فتية كحركة القوميين العرب. هذا أولاً، وثانياً كنا نرغب في قياس مدى عمق صلاتنا بالناس والشعبية التي نتمتع بها. وبعد الانتخابات بعام تقريباً دخل عامل مهم أثر في طبيعة الحركة، وتمثل هذا العامل بانقلاب النظام في الأردن على حكومة سليمان النابلسي الوطنية عام ١٩٥٧. وكان لهذا الانقلاب تأثير كبير علينا، لكنه أفرز تجربة مهمة، اذ اعتقل الرفيق وديع حداد، وقررت أنا الاختفاء داخل الأردن لإعادة بناء الحركة ومواجهة المرحلة المقبلة التي كانت تتسم بالتسلط والقمع والملاحقة وكذلك البدء بممارسة الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني. وكنت أثناء اختفائي أقود العمل اليومي والسياسي داخل الأردن وفلسطين بشكل رئيسي. وبقيت على هذا الحال الى ما بعد قيام الوحدة بين مصر وسورية اذ غادرت الأردن الى سورية في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٥٩.

‹ هل كانت بنى حركة القوميين في الأقطار الأخرى ناضجة؟

– ليس في كل الأقطار العربية، ففي لبنان أكملت الحركة نضجها نسبياً، وأصبحت تنظيماً هرمياً من القيادة الى القاعدة. وكان من أبرز الشباب النشطين في تلك الفترة محسن ابراهيم، وشاب آخر على قدر كبير من الأهمية في كفاحه ونشاطه، خصوصاً في الجنوب اللبناني وهو المرحوم محمد الزيات الذي غادرنا مبكراً عن عمر يناهز ٣٢ عاماً. وللإنصاف لعب المرحوم محمد زيات دوراً مهماً في أواخر الخمسينات اذ خاض الانتخابات النيابية في مواجهة قوائم وتكتلات للعائلات التقليدية والاقطاع الجنوبي، ولا بد من ذكر دوره بوصفه أحد الأركان المهمين في قيادة الثورة العام ١٩٥٨ في لبنان ضد الرئيس كميل شمعون، هذه الثورة التي انطلقت من الجنوب اللبناني وامتدت لاحقاً الى مختلف الأراضي اللبنانية. وبالطبع كان هناك الرفيق أبو ماهر اليماني والرفيق أبو عدنان قيس والكثير من الرفاق المخلصين. أما في سورية والعراق فكان وضع الحركة أقل نضجاً وأكثر بطئاً في فاعليته من لبنان والأردن، وذلك يعود الى وجود حزب البعث في كل من سورية والعراق بشكل قومي وفعال. الا ان تجربة القوميين العرب في كل من اليمن وليبيا والبحرين تستحق التوقف أمامها.

حصار بيروت

‹ كان حصار بيروت الامتحان الأصعب للمقاومة الفلسطينية، كيف كان الحكيم يعيش يوميات الحصار؟

– بطبيعة الحال كنت في بيروت عندما بدأت المعارك وكنت أمارس مهماتي الداخلية والخارجية. وكان لدي عشية الاجتياح مشروع لتوحيد القوى الديموقراطية في الساحة الفلسطينية لمواجهة العدوان الاسرائيلي المتوقع، والمخططات المرسومة لتصفية المقاومة. ولكن حتى أكون صريحاً معك لم نكن نتوقع ان تأتي الضربة الكبرى من اسرائيل مباشرة. كنا نعتقد ان الضربة المباشرة ستقوم بها الرجعية اللبنانية ممثلة بالجبهة اللبنانية ووحدات عسكرية نظامية. وتم تشخيص ذلك في مقررات المؤتمر الرابع للجبهة. وكان في ذهني باستمرار وجود مخطط لضرب المقاومة، وكان حجم هذا المخطط قائماً على اعتبار الرجعية اللبنانية أداته بالدرجة الأولى، ثم اسرائيل التي قد تكون حدود عدوانها الجنوب اللبناني فقط.

‹ كيف تقوّم أداء المقاومة في اجتياح ١٩٨٢ بأمانة وصدق؟

– سأجيب عن سؤالك بمنتهى الصدق والمسؤولية: أداء المقاومة في مواجهة الاجتياح كان متفاوتاً. كان بائساً بمظهره الرئيسي في الجنوب وأقصد صور وصيدا، على رغم المواقف المشرفة التي شكلت مظهراً ثانوياً في بعض المواقع مثل النبطية وقلعة الشقيف وأرنون، وخاض خلالها المقاتل الفلسطيني قتالاً بطولياً ومشرفاً، وكان مثالاً للتضحية والتفاني. لو كانت المقاومة في الجنوب منظمة لتغيرت النتائج بعض الشيء، ولما تشجعت القيادة الاسرائيلية على الاندفاع وتوسيع رقعة الاجتياح باتجاه بيروت والجبل. وعندما اتضح المخطط الاسرائيلي وحجمه كنت على يقين انه لا يمكن ان يصمد في مواجهة هذا المخطط إلا إرادة جبارة بكل معنى الكلمة. ولم يكن في ذهني غير قرار الصمود وتحويل بيروت الى ستالينغراد ثانية في مواجهة الغزاة. وفي أول اجتماع للقيادة الفلسطينية عقدناه في منتصف حزيران (يونيو) قلت: نحن صامدون ومن يريد الصمود فليبق ويقاتل، وكانت الغالبية منسجمة مع هذا الرأي. خلال حصار بيروت كان أداء الثورة الفلسطينية في القتال أكثر تنظيماً، وقدم المقاتل الفلسطيني على مدار ٨٦ يوماً من الحصار مثلاً رائعاً. دافع المقاتلون عن بيروت المحاصرة دفاعاً مستميتاً في ظل صمت عربي رسمي وهجوم اسرائيلي اطلسي مركز وكثيف، وعلى رغم قرار الخروج الذي حكمته جملة اعتبارات لبنانية داخلية وعربية واقليمية، شكلت معركة بيروت صفحة مشرفة في تاريخ الثورة الفلسطينية والأمة العربية، ولا يمكن لأي قائد فلسطيني ان يتجاهل التضحيات الكبيرة والجسيمة التي دفعها الشعبان الفلسطيني واللبناني ثمناً لهذا الصمود.

‹ أثناء فترة الحصار هل تعرضتم لضغوط من الحركة الوطنية اللبنانية، للخروج من بيروت؟

– في البداية كان قرار الجميع الصمود، ولكن مع مرور الوقت واشتداد الحصار، وتطبيق اسرائيل سياسة الأرض المحروقة، وشل كل مرافق الحياة بدأنا جميعاً نقوّم المرحلة وندرس امكان الصمود ومدى نجاعته. وعلى اثر تقويمنا المشترك بدأت أقتنع بأن لا ضرورة للعناد والدخول في مواجهة انتحارية، خصوصاً ان الموضوع لم يعد موضوع المقاومة والحركة الوطنية، بل اصبح موضوع الجماهير اللبنانية وشعاره تجنيبها المزيد من الضربات والخسائر، لأنني بت مدركاً ان شعار تحويل بيروت الى ستالينغراد أخرى مستحيل.

‹ عندما كان أبو عمار يفاوض فيليب حبيب عبر الرئيس شفيق الوزان وبعض الشخصيات اللبنانية هل كان يطلعكم على تفاصيل هذه المفاوضات؟

– لم يكن يطلعنا على تفاصيل مفاوضاته بالكامل مع فيليب حبيب، لذلك عليك ان تسمع ثم تقوم أنت باستنتاج ما يريده أو ما يعرفه.

‹ قرار الخروج من بيروت، كيف تبلور؟ من اتخذه؟ ومن عارضه؟

– الغالبية الساحقة من قيادة المقاومة شاركت في اتخاذ قرار الخروج وأنا واحد منهم.

‹ ولكن كيف تبلور قرار الخروج؟

– الواقع ذاته هو الذي بلور قرار الخروج من بيروت، خصوصاً بعد اشتداد الحصار إذ أصبح لا بد من أخذ حال الجماهير اللبنانية في الاعتبار، وكذلك موقف الحركة الوطنية اللبنانية.

‹ ومن عارض قرار الخروج من بيروت؟

– اعتقد ان هناك بعض القيادات التي عارضت الخروج سواء داخل منظمة التحرير أو داخل كل فصيل، وعلى صعيد الجبهة كان الرفيق ابو ماهر اليماني من معارضي الخروج، اضافة الى خمسة اعضاء من اللجنة المركزية للجبهة.

‹ ماذا عن علاقتكم في «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» بكارلوس، وهل تعرفونه جيداً؟

– كارلوس مناضل ثوري وأممي، وبحكم انتمائه للفكر الثوري، جاء وتطوع للنضال الى جانب الشعب الفلسطيني وانتمى الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ونحن في الجبهة الشعبية وفي الثورة الفلسطينية، كنا على الدوام نستقبل بكل ترحاب، كل أممي يأتي للانضمام الى ثورتنا ومناصرة قضيتنا، وكارلوس واحد من هؤلاء المناضلين. وشعبنا الفلسطيني الذي ضحى وناضل ولا يزال في سبيل حريته واستقلاله يدرك معنى الانتماء والتضحية، ولن ينسى كل من ناضل وضحى الى جانبه في نضاله المشروع، بل سيبقى حافظاً لهذا الجميل من دون أن يأبه لتشويهات الأعداء، لأن نضاله الذي حفظته له شرعة الأمم المتحدة يعتبر بنظرهم إرهاباً، بينما اسرائيل التي تمارس الإرهاب الرسمي على مستوى الدولة هي الضحية! ان تزوير حقائق التاريخ ليس بالأمر الهين أو السهل وان انطلى هذا التزوير لفترة فهو لن يدوم، وحديثهم عن الارهاب لن يضيرنا أو يخيفنا، بل سيجعلنا اكثر تصميماً على مواصلة النضال والتمسك بقيمنا الثورية والوطنية العادلة التي يحاول الغرب الرأسمالي تشويهها واعتبارها قيماً ماضوية طواها الزمن. معرفتي الشخصية بكارلوس معرفة عابرة، وعلاقته المباشرة كانت مع الرفيق الشهيد وديع حداد الذي كان مسؤولاً عن العمليات الخارجية في الجبهة.